# جغرافية السياسة البيئية –
## الطبيعة ، الثقافية ، التحضر

سايمون دالبي

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

## الجغرافيا السياسية ومشكلة الطبيعة

تتعلق **الجغرافيا السياسية** بأكبر المعطيات المتعلقة بالقوة والفضاء في الشؤون الإنسانية . فمنذ بداية القرن العشرين في كتابات هالفورد ماكيندر ورودوف كيلين وفريدريك راتزل وحتى مجلدات نهاية القرن التي كتبها صمويل هنتنغتون (1996) وزبيجنيو بريجنسكي (1997)، كان يُنظر إلى الإمبراطوريات والحضارات والدول كونها الكيانات الإقليمية الأساسية في المنافسة على القوة والفضاء والنفوذ (دودز وأتكينسون، 2000). ولكن هذا التقليد ، الذي يُفهم على أنه يتعلق بالتنافسات بين القوى العظمى والصراعات على النفوذ والسيطرة عبر فضاء سياسي عالمي متنوع ومتنازع عليه ، كان أيضًا تقليدًا كانت فيه الافتراضات واسعة النطاق حول الطبيعة والبيئة الطبيعية حاضرة بشكل لا مفر منه . إن كلا منهما صحيح ، وذلك لأنها تتضمن افتراضات حول الأسئلة الفلسفية التي تطرحها البشرية ، ومكانتها وهدفها في كون أكبر، ومن ثم التنظيم المناسب للشؤون الإنسانية على أوسع نطاق ؛ وأيضاً لأن مسائل سياسات القوة والتنافس بين القوى العظمى كانت دوماً تدور حول مصادرة الموارد وتدمير البيئات في سعيها إلى تحقيق التفوق العسكري والاقتصادي .

وكما أوضح كتاب الجغرافيا السياسية النقدية في تسعينيات القرن العشرين ، **فإن وجهات النظر الجيوسياسية تدور حول بناء الكوكب كونه موضوعاً للمعرفة** : ممارسات **معرفة العالم ككل التي تسهل عملية تقسيمه وإدارته** (أجنو، 1998؛ أو توتاهيل، 1996). وكانت هذه الرؤية الإمبراطورية في الماضي حكراً على الأباطرة والجنرالات والنخب السياسية وصانعي الخرائط في العواصم . إن الروابط بين الجغرافيا السياسية التقليدية وقضايا الطبيعة ، سواء كانت تتعلق بالحتمية البيئية أو النماذج العضوية للدول المتنافسة ، أكثر مباشرة مما تشير إليه العديد من الصيغ الجغرافية أو السياسية في كثير من الأحيان . ولكن الآن ، مع انفتاح القرن الحادي والعشرين ، أصبحت البشرية نوعًا حضريًا ، وأصبحت النظرة الجيوسياسية لكوكب يجب تقسيمه وحكمه مترابطة مع التفكير الحضري ؛ **فقد تحولت الطبيعة إلى بيئة عالمية ، يجب إدارتها وفقًا لمصالح المستهلكين الغربيين** (لوك، 1999).

والآن أصبحت الجغرافيا السياسية تتعلق أيضًا **بإدارة العالم الطبيعي من خلال ممارسات الإدارة العلمية ، والبيئة ، ونعم ، الجغرافيا** . في حين زعم ماكيندر (1904) أن الفضاء السياسي كان مغلقاً في نهاية القرن التاسع عشر، فإن الجغرافيا السياسية تفترض الآن ضمناً أن **الطبيعة** أصبحت معروفة ومستكشفة ومغلقة ومقسمة ، وهي مسألة تدار من قِبَل الثقافة الحضرية العالمية التي تهيمن على الشؤون الإنسانية (دالبي، 2002). وتتطلب الآثار المترتبة على هذا التحول إعادة التفكير في أساسية مقدمات جغرافية الثقافة ، وبعض التأمل الذاتي الدقيق في الهويات الثقافية للجغرافيين الذين يكتبون عن الكوكب بهذه الطرق .

تؤكد الحجة في هذا الفصل على أن **الثقافة الحضرية** التي يعيش فيها معظم الجغرافيين ، والتي تحدد نفسها عادةً على أنها منفصلة عن الطبيعة البرية غير المروضة ، هي أيضًا ثقافة لها تاريخ استعماري طويل في رسم الحدود وتقسيم الطبيعة إلى مساحات يمكن إدارتها وتعديلها لجعلها منظمة كجغرافية سياسة البيئة - الطبيعة والثقافة والتحضر (درايفر، 2001). لكن **تغيير استخدام الأراضي** هو أيضًا حتمًا مسألة تتعلق **بالتغير البيئي** ، والعواقب المترتبة على الاضطرابات واسعة النطاق في "الطبيعة" تتحدى الآن بشكل أساسي الافتراضات الحديثة بأن البشرية الحضرية منفصلة أو تسيطر بطريقة ما على تلك الطبيعة . ما يُعرَّف بأنه طبيعة وبيئة يتغير نتيجة لتغير المناخ وثقوب الأوزون وظواهر مثل التساقط الإشعاعي من تشيرنوبيل . وعلى نحو مماثل ، مرة أخرى ، فإن **فهم مكانة البشرية في علاقتها بـ "الطبيعة" يشكل تحديًا** . وفي هذه العملية ، تواجه الثقافة التي تحدد نفسها على أنها منفصلة عن الطبيعة تحديًا لإعادة التفكير في افتراض هذا الانفصال (بيك، 1992؛ لاتور، 1993).

سواء كنا نفهم أنفسنا كوننا عصريين ، وحضريين ، ومنفصلين عن الطبيعة التي لا تهم حياتنا ، أو كوننا بشرًا يعيشون في طبيعة نشطة نغيرها بأفعالنا اليومية ، فإن هذا له عواقب وخيمة على هوياتنا وعلى كيفية تعاملنا مع الجغرافيا . إن "تخطيط" المدينة وإعادة تنظيم الطبيعة للحفاظ على "الموارد" الاستعمارية هما مشروعان حديثان يشتركان في افتراضات الطبيعة الموجودة هناك والتي يجب السيطرة عليها من خلال إعادة تنظيمها مكانيًا وفقًا للتصميم البشري . إن **العولمة** تعني أن هذه المواضيع أصبحت الآن مهمة على نطاق كوكبي ، وأن تفكيرنا يجب أن يعكس هذا التغيير، ولا سيما من خلال دمجها في نقد المقدمات المسلم بها للرؤية الجيوسياسية الحديثة التي تفحص العالم بأسره كموضوع للمعرفة (لوك، 1997).

## الجغرافيا كمنحة دراسية حضرية

في نهاية الثمانينيات ، تناولت مارجريت فيتزسيمونز (1989)هذه القضايا في هذا التخصص ، فقالت إن العديد من المناهج الأكثر راديكالية وانتقادية للجغرافيا واجهت مشاكل في التفكير في الطبيعة بسبب الانشغال بالموضوعات المكانية . واستعانت بحجة ريتشارد بيت (1977) السابقة لتقترح **سبب تركيز الاهتمام على الفضاء بدلاً من الطبيعة** . كان الفضاء موضوعًا مهمًا في الجغرافيا "الجديدة" في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين والتي طبقت النمذجة الإحصائية ورسم الخرائط لفحص الاقتصاديات والمدن . وعندما انتقدت المناهج الراديكالية ، والأدبيات المستوحاة من الماركسية على وجه الخصوص ، الافتراضات الليبرالية في الجغرافيا الجديدة ، فقد ركزت أيضًا على المسائل المكانية والأسئلة ذات الصلة **بالعدالة في البيئات الحضرية** . ولقد مضت فيتزسيمونز في اقتراحها بأن صعوبة التعامل مع الطبيعة ترجع جزئياً أيضاً إلى أن المثقفين يعيشون ويعملون في المقام الأول في الفضاءات الاصطناعية في المدن الكبرى . وإلى جانب هذا كان هناك الدور المتنامي الذي تلعبه العلوم في تشكيل الممارسة الفكرية لهؤلاء المثقفين الحضريين ، وخاصة في مجال الجغرافيا من **حيث البحوث البيوفيزيائية وإدارة الموارد** . وتقترح أن كل هذا يؤدي إلى عمى كبير عن التجريدات المعقدة لـ "الطبيعة" .

هذه ليست القصة الكاملة للتخصصات بالطبع ، فقد كتب ديفيد هارفي (1974) نقداً قوياً لحجج مالتوس في أوائل سبعينيات القرن العشرين ، وكان لهذا النقد آثاره على تحليل مسائل الموارد الطبيعية . وفي ثمانينيات القرن العشرين أصبح الاهتمام بسياسات الطبيعة جزءاً من المناقشات في الجغرافيا ومن وجهات نظر أكثر انتقاداً على وجه الخصوص مع ظهور موضوعات **علم البيئة السياسي** . وقد استخدمت هذه التحليلات الخاصة بالتخلف في التحقيق في الفقر وربطتها بفهم عملي للتغير البيئي ، حرفيًا "على الأرض" من حيث

تآكل التربة (بلايكي وبروكفيلد، 1987). وكان هذا الاهتمام بالتغير البيئي مرتبطًا بشكل مباشر بالنضالات اليومية لسكان الريف ، والمزارعين على وجه التحديد ، في مواجهة التعديات التخريبية من قبل الزراعة الرأسمالية . وبتوسيعها لإعادة التفكير في الافتراضات "البيئية" في أبحاث المخاطر، أوضحت مثل هذه المعطيات كيف أن الجغرافيا غير المتساوية للأنظمة الاجتماعية هي عامل رئيسي يسبب الضعف (بلايكي وآخرون، 1994).

زعم فيتزسيمونز (1989) **أن التحضر يتعلق بإعادة تشكيل الحياة الاجتماعية والتمييز الجغرافي بين المدينة والريف . كما يشجع التمييز بين الطبيعة الحضرية والطبيعة البكر مع عد البشر خارجيين عن الطبيعة** . تعكس هذه الأنطولوجيات بعضًا من أقوى الثنائيات في ثقافة التنوير التي شكلت إنتاج المعرفة والعلم على وجه الخصوص (لاتور، 1993). إن التمييزات بين الطبيعة والثقافة هي بعض من أكثر الثنائيات الثقافية استمرارًا في عصرنا . إن فعالية العديد من التحركات الإيديولوجية "للتطبيع" لجعل الأمور "حقيقية" لأنها "طبيعية" ، وبالتالي خارج نطاق المناقشة السياسية ، تشير إلى أهميتها العملية . اقترح فيتزسيمونز أخيرًا أن الشقوق الاجتماعية في تخصص الجغرافيا أدت إلى تفاقم هذه الصعوبات المفاهيمية مع تأكيد الجغرافيين الحضريين والاقتصاديين على نظريات المعرفة والأساليب "العلمية" والجغرافيين الريفيين الذين غالبًا ما يجعلون من التحليل الثقافي تركيز أنثروبولوجي .

في تسعينيات القرن العشرين ، وتحت تأثير جزئي للمناقشات في النظرية الاجتماعية ، أنتج الجغرافيون دراسات علمية أكدت بعض آمال فيتزسيمونز في أن الجغرافيا النقدية سوف تتغلب على هذه التحديات . إن الصعوبات التي واجهتها الدراسات حول علم البيئة السياسي كانت سبباً في تعزيز الروابط بين الريف والحضر (بيت وواتس، 1996). كما بدأت جغرافية الثقافة في التفكير في الطبيعة بطرق مبتكرة كما تشير الدراسات الحديثة حول ثقافة الشباب على وجه الخصوص . إن العمل الذي قامت به سيندي كاتز (1998) حول المراهقين في المناطق الريفية بالسودان ونيويورك الحضرية يربط بين عمليات العولمة في ظروف مختلفة للغاية . كما أكدت المواجهة بين سكان الريف الإنجليز والقوافل المتنقلة لـ "مسافري العصر الجديد" على أهمية مفاهيم الطبيعة والمظاهر الطبيعية في السياسة المعاصرة (هيثرينغتون، 1998).

ولكن ، باستثناء واضح لأعمال مثل دراسة جوان شارب (2000) لبناء الهويات الأميركية في خطابات الحرب الباردة في الجغرافيا السياسية الشعبية ، فإن جغرافية الثقافة الجديدة لم يتم توسيعها بعد بأي قدر كبير من التفصيل إلى أكبر المقاييس وربطها بالمخاوف المكانية في الجغرافيا السياسية . وعلى نحو مماثل ، فإن هذا لم يبدأ إلا في المناقشات النظرية حول علم البيئة السياسي (براون وكاستر، 1998). إن توسيع موضوعات جغرافية الثقافة والبيئة السياسي إلى أكبر نطاق يؤكد على أهمية ليس فقط في فهم الرأسمالية كونها تبني الفضاء والطبيعة في وقت واحد ، كما زعم نيل سميث (1990) ، ولكن أيضًا **تصور الثقافة الحضرية البشرية كونها قوة "طبيعية" متزايدة الأهمية تعمل على تغيير المحيط الحيوي** .

وبموجب مصطلحات برونو لاتور (1993)، يتعين أن نفكر من منظور الكائنات الهجينة الآن ، أو كما تشير الحجة في هذا الفصل ، بناءً على إلهام لاتور، من منظور كائن هجين بحجم كوكب واحد حيث تعمل **العوامل الاصطناعية** على تشكيل النظم البيئية بشكل متزايد **وتغيير تكوين المحيط الحيوي بشكل عام** . ويشير هذا الفصل إلى أن الآثار المترتبة على مثل هذا التحول الوجودي لا تقتصر على تفكيك ثنائيات الطبيعة والثقافة والحضر والريف ، بل تشمل أيضًا **الاعتراف بالوضع الجيوسياسي للكيانات الاجتماعية في نظام بيئي كوكبي واحد متغير** . إن ظهور مثل هذا الفهم الكوكبي للترابطات له آثارا مهمة على التفكير الجغرافي في الألفية الجديدة .

اعتقد ماكيندر (1904) أن نهاية القرن التاسع عشر كانت بمثابة نهاية العصر "الكولومبي" ، حيث تم استكشاف معظم الكرة الأرضية وجذبها إلى الاقتصاد العالمي الذي يهيمن عليه الأوروبيون . والآن ، فإن القلق بشأن ثقوب الأوزون ، وتغير المناخ ، واستنزاف مخزون الأسماك في المحيطات ، وتراجع التنوع البيولوجي ، وغير ذلك من المخاطر "البيئية" يمتد بهذا القلق إلى حدود مختلفة ويشير إلى نهاية عصر افتراضات الفرص الاقتصادية اللانهائية القائمة على استغلال الموارد الطبيعية . وبصراحة تامة وباللغة الدارجة : يتعين علينا أن نكشف عن الافتراضات الثقافية المنتشرة بأننا "هنا" في مكان محدد "على" الأرض ، وذلك بسبب الوهم السياسي القوي الذي ظل قائماً لفترة طويلة ، **فنحن لسنا على الأرض ، نحن الأرض ، نحن لسنا "هنا" ، آمنين في مدننا** . نحن مترابطون من خلال شبكة معقدة من الأنشطة الاقتصادية والاتصالات ، والتي تشكل أيضاً أفعالاً بيئية ، إلى إمدادات بعيدة من الموارد ، فضلاً عن المصانع البعيدة ، والتي لها عواقب معقدة على نحو يضمن أن أفعالنا "هنا" هي أيضاً أفعالا "هناك" حتمياً .

إن الآثار المترتبة على مثل هذه الفهم تعني حتمًا تحدي الفئات الجيوسياسية التي تحدد بشكل غير دقيق الهوية السياسية التي تضفي الشرعية على "وجودنا" في أماكننا المختلفة بينما تحجب في الوقت نفسه عواقب الترابطات المتبادلة التي تجعل "اقتصادنا" السياسي القائم على المدن ممكنًا . والحجة المعاكسة حاسمة أيضًا : يمكن استخدام استدعاء الخطر العالمي المتمثل في التهديدات البيئية أيضًا لاستدعاء الضرورة الاستعمارية لتدخل "نحن" من أجل "إدارة" التغيير في أماكن معينة قد تلبي أو لا تلبي توقعات وموافقة من يعيش "هناك" . وهنا **ترتبط الجغرافيا السياسية بشكل مباشر بأمور الإدارة البيئية "العالمية"** (دالبي، 2002).

## الجغرافيا السياسية

إن السياسة للمواصفات الثقافية المعقدة لهويتنا كجغرافيين تربط حتمًا بين الاهتمامات الجديدة نسبيًا بتحليلات الدراسات الثقافية في هذا المجال وبين الموضوعات الأقدم في الجغرافيا السياسية . لقد أدركت التحليلات الجغرافية الأقدم للصراعات على القوة العالمية **أن الجغرافيا عامل مهم** . وقد صيغت حجة ماكيندر الشهيرة حول المناطق الداخلية جزئيًا من حيث أنماط الصرف في أوراسيا . وقد لاحظ مودي أنه في حين يركز الجغرافيون البشريون على المناطق الجغرافية كوحدة تحليل ، فإن **"الوحدة الإقليمية للجغرافي السياسي هي الدولة" (1949: 13)، والتي نادرًا ما تتطابق مع المناطق الطبيعية** . لقد كان عدم التوافق بين الدول والبيئات مثار قلق منذ فترة طويلة ، على الرغم من أن الانشغال الخاص بمحاولة استنباط تسميات إقليمية شاملة لسطح الأرض ، والتي شكلت كتابات مودي ، قد تراجعت أهميتها مع تحول التركيز الجغرافي الجديد بعيدًا عن الموضوعات الإقليمية .

ومع ذلك فإن المضمون المهم في هذه الصياغات هو التردد الذي تستورد به الدول الموارد على وجه التحديد لأنها **لا تتطابق مع جغرافية الموارد التي تستخدم داخل حدودها** . كان التركيز الجيوسياسي التقليدي على الظروف المكانية للنزاعات حول الوصول والحدود أو السيطرة على السمات الجيوستراتيجية الرئيسية يؤكد على المسائل العسكرية والمساحات الخاصة . وبقدر ما يُفهَم أن الموارد ظواهر طبيعية ذات جغرافية معقدة ، فإن الوصول إليها في الحرب الباردة ربط موضوعات التحكم المكاني بمناقشات الطبيعة (ليبشوتز، 1989). ورغم استخدامها بشكل متكرر كمبررات لإجراءات سياسية أخرى ، **فإن الحجج الجيوسياسية حول الموارد تظل قوية بشكل خاص عندما تكون إمدادات البترول موضع تساؤل ، وخاصة في الشرق الأوسط** .

وعادة ما كانت هذه الحجة تندرج في صياغة أكبر لأهمية الحفاظ على السيطرة الغربية على المحيطات لضمان طرق التجارة وخطوط الإمداد العسكرية في جميع أنحاء العالم . وإذا امتدت هذه الأنماط التجارية إلى

مناقشة التفاعلات بين الطبيعة والإنسانية على أوسع نطا ق ، فإنها تُظهر الآن مدى انتشار استخدام الموارد من قِبَل المستهلكين في أكبر المدن (ريدكليفت، 1996). إن الروبيان من مزارع الأسماك ، والوقود في سيارات الأجرة ، والخضراوات التي يتم نقلها جواً عبر العالم ، والزهور في قصر كنسينغتون عندما توفيت الأميرة ديانا ، **كلها عناصر من الحياة في لندن تأتي من مواقع بعيدة وتعتمد على نظام جيوسياسي معين لتوفيرها .**

إن هذا التوسع في مقياس التحليل هو أحد الموضوعات التي تميز بعض الجغرافيات السياسية السابقة عن الحجج الحالية . لقد ركزت منظورات الجغرافيات السياسية القديمة على قطاع معين من الأراضي ، الدولة ، وعلى السعي الجاد لتحقيق ما كان يُنظَر إليه كونه أفضل مصالح الدولة حتى ولو أدى ذلك ، كما حدث في كثير من الأحيان ، إلى المواجهة والحرب . وكانت الموضوعات المتكررة التي تناولتها الجغرافيات السياسية هي الفضاء والقوة والعلاقة بينهما . ومن ناحية أخرى ، فإن منظور الجغرافيات السياسية الجديدة عالمي ، ومقترحه الأساسي هو **أن العالم ككل هو الوحدة المناسبة لمعالجة تلك القضايا التي لها تداعيات عالمية** . ولا يوجد شيء اسمه حل لقضية "محلية" ينظر إليها بمعزل عن سياقها الأوسع . (باركر، 1998: 55) ورغم أن هذا تعميم واسع النطاق ، فإن النقطة المهمة التي أبرزتها العديد من التحليلات التي تناولت الجغرافيا السياسية النقدية في العقد الماضي هي أن الحس السليم والمواصفات الجغرافية التي تعد مسلم بها للهوية السياسية والتي تشكل مناقشات هذه الأمور تشكل جزءًا مما ينبغي تحليله (أوتاتايل، 1996).

إن الفئات الثقافية التي تناقش من خلالها المسائل البيئية والجيوسياسية تشكل أهمية بالغة لفهم كيفية عمل السياسة **. إن التغيير الثقافي يتعلق بالتغيير السياسي** ، وليس أقلها لأن اللغة والفئات التي تحدد السلوكيات المقبولة ، ومن الذي يتمتع بالسلطة للتصرف واتخاذ القرارات ، تشكل جزءًا من الذخيرة الثقافية المتاحة للمناقشة . وتتضح العديد من هذه المواضيع بشكل خاص في المناقشات الحالية حول العولمة والتي تعمل على تحديث وتوسيع الافتراضات المضمنة في التفكير الجيوسياسي السابق .

إن تعليق باركر حول تغير الحجم يحتاج إلى شرح دقيق إذا لم يكن من المقرر أن تعمل الجغرافيات السياسية القديمة للغرور الحكومي على تقييد الخيال السياسي مرة أخرى . إن انهيار التمييزات الواضحة بين **المحلي والبعيد** ، **والكبير والصغير، ونحن وهم** ، هو الجزء الأكبر من المناقشة حول العولمة . وعلى الرغم من فهمها أحيانًا بشكل ضيق كونها مسألة تتعلق بالمنطق الإيديولوجي لليبرالية الجديدة ، مع الموضوع الإيديولوجي المتكرر حول حتميتها (هارفي، 2000)، أو بدلاً من ذلك كونها مسألة التجانس الثقافي الناتج عن تكامل السوق وتصدير الأفلام والبرامج التلفزيونية الأمريكية ، **فإن العولمة تتعلق أيضًا بالتأثيرات الثقافية للتغير في الحساسيات المكانية** . إن هذا الأمر يقاومه في كثير من الأحيان دعوات إلى تقييد الهجرة وحماية الثقافات المتميزة جغرافياً في مواضع تؤكد على النظام مع تثبيت كل شيء في مكانه ، وافتراضات المجتمعات العضوية المستقرة .

لقد كان للجماليات الحضرية للنظام وضرورة تحضر البرية مظاهر أخرى قوية في التاريخ الحديث . لقد أدى الافتتان بالمروج ذات الطراز الإنجليزي في أمريكا الشمالية إلى تجنيس ثقافي لهذه التحفة المصطنعة من المكانة والاستقرار السياسي والتي تعمل على تجميل المروج على حساب الصحة البيئية (فيجان وريبميستر، 1999). كان المشروع الاستعماري الأوروبي في إفريقيا يدور في كثير من الأحيان حول الرغبة في **جلب النظام إلى ما كان يُفهَم على أنه مظاهر طبيعية فوضوية** . ولكن هذا كان شعوراً أوروبياً بالنظام الذي اقترح **ترويض البرية وتنظيمها** لتكون منتجة من حيث النماذج الأوروبية الخاصة بالزراعة والممتلكات (دوتي، 1996).

ولم تكن المفاهيم الأصلية للمظاهر الطبيعية والبيئة تتناسب مع هذه المواصفات الإنتاجية للأرض كمورد وللزراعة الأحادية كونها أعلى أشكال الفن الزراعي . وكان تجريد أولئك الذين لم يتناسبوا مع حساسيات مديري المظاهر الطبيعية الاستعمارية ببساطة جزءًا من عملية "التحسين" . وكثيرًا ما تواصل الدول ما بعد الاستعمار مثل هذه السياسات ، باستخدام المعرفة المتخصصة القائمة على المناطق الحضرية لتحويل البيئات الريفية إلى مناطق منتجة للموارد (سكوت، 1998).

إن تصميم سنترال بارك في نيويورك يعد نموذجاً لحديقة المدينة في القرن التاسع عشر، ولكن النقطة المهمة هنا هي أن تصميم أولمستيد يشكل جزءاً من جمالية أكبر للطبيعة والتي كان من المقرر أن يتم دمجها في الحركة اللاحقة للحدائق الوطنية في الولايات المتحدة وأماكن أخرى . وترتبط الحدائق والمساحات الأخلاقية هنا ارتباطاً مباشراً بالجغرافيات السياسية الحضرية لضبط ومراقبة مناطق معينة في المدينة وفي الافتراضات المتعلقة بالنظافة والتي تدعم كلاً من الأسباب المنطقية لـ "المساحات الخضراء" وخطابات الشرطة حول الأمن (هربرت، 1997).

وفي كلتا الحالتين كان افتراض أن **الطبيعة خالية فعلياً من البشر** مهماً . ففي الحدائق ، زار الناس الحدائق ولكنهم لم يعيشوا فيها ؛ وعلى نحو مماثل في "المحميات" الطبيعية ، وحدائق الصيد ، والمتنزهات الوطنية . **والسكن البشري هو بالضبط ما لا تملكه الحدائق** . إن هذه الحجة يمكن أن تمتد إلى الممارسات الاستعمارية أيضًا حيث تم استبعاد السكان الأصليين من الأراضي التقليدية لوضعها جانبًا كمحميات للصيد للسياح الأثرياء . إن نقل المشردين من المتنزهات الحضرية يتبع النمط العام نفسه (سميث، 1997). وبهذا المعنى ، **هل يمكننا قراءة "مشكلة" تدمير الشعوب المحرومة للبيئات الهامشية في "الجنوب" على أنها مماثلة لمشاكل المشردين في المدن الأمريكية ؟** في كلتا الحالتين ، ينتهك سكان الهامشية القواعد المكانية للحدائق الفارغة والمظاهر الطبيعية المنظمة . ولكن كما تعلم ممارسو الحفاظ على البيئة على نفقتهم الخاصة على مدى عقود عديدة ، فإن استراتيجية رسم حدود مميزة حول المناطق المخصصة للحفظ على أمل الحفاظ على "الطبيعة" سليمة محكوم عليها بالفشل عادةً **لأن العمليات البيئية لا تقتصر على مثل هذه المساحات المحدودة** (بوتكين، 1990). ولكن **الطبيعة والثقافة لا يمكن فصلهما بسهولة** ؛ إن الترابطات بينهما أمر لا مفر منه ، بغض النظر عن الاتفاقيات التي يستخدمها رسامو الخرائط لرسم هذه المظاهر الطبيعية . إن الأمور البيئية تتعلق بالتفاعل والاتصال ، وليس بالأماكن المنفصلة والخطوط الفاصلة ، سواء كانت خطوط الملكية أو حدود الحدائق أو حدود الدولة .

إن جماليات التخطيط والحدائق الحضرية هي جماليات النظام والتناظر، حيث يتم التحكم في الطبيعة وترويضها قبل إعادة تنظيمها وتقديمها بطريقة مواتية لتوفير فوائد "الطبيعة" للسكان الحضريين. توفر الحدائق ومراكز تفسير الحدائق مظاهر طبيعية منظمة يتم فيها التحكم في الفوضى البرية للطبيعة وتقديمها بطريقة تعمل على إبعاد زائر الحديقة عن تلك الطبيعة . إن "تجربة" الطبيعة هي تجربة فصل وإنتاج "تجربة" بدلاً من لقاء غير مباشر . وفقًا لمصطلحات ديريك جريجوري (1994)، **يتم إنتاج الطبيعة كمعرض للمستهلكين المعاصرين** . ومن المفارقات بطبيعة الحال أن مثل هذه التجارب المصطنعة لها قيمة ليس فقط بالنسبة لعميل الحديقة ، بل وأيضاً بالنسبة للحفاظ على البيئة حيث يُمنع سكان المناطق الحضرية الجهلة من الوصول إلى المساحات البيئية الأكثر عرضة للاضطراب .

إن أهمية تحليل نيل سميث (1990) للرأسمالية كونها تنتج الطبيعة والفضاء في الوقت نفسه تصبح واضحة بشكل خاص في سياق التفكير في المسائل البيئية على أوسع نطاق . تاريخيًا ، كانت أكبر التغييرات التي أحدثتها البشرية في المحيط الحيوي تتعلق بالزراعة و"تطهير" الأراضي (دايموند، 1997). ومن الواضح

أن التغييرات البيئية للموائل تعززت أيضًا من خلال ممارسات الصيد . لقد عززت الرأسمالية هذه العمليات المتعلقة بتغيير الموائل من خلال تسريع **تحويل العديد من جوانب الطبيعة إلى سلع** وتوسيع النظام من خلال الاستعمار والعولمة لاحقًا . لقد حاصرت حدود الدولة على أوسع نطاق "الطبيعة" وسهلت تحويلها إلى "ملكية". وفي المقابل ، تم تطهير الملكية "لتحسين" الأرض وجعلها جاهزة لإنتاج السلع للمدن . إن الريف والحضر مترابطان بشكل عميق حتى مع أن الخطاب القوي لمثل هذه الأماكن يحجب هذه الروابط .

لاحظ هنري لوفيفر (1991) هذه الخريطة التي توضح المناطق الحضرية والريفية على نطاق الدولة الفرنسية التي ترتبط بشكل مباشر مرة أخرى بأمور الجغرافيا السياسية . فقد أشار في كتاباته في سبعينيات القرن العشرين إلى وجود خريطتين لفرنسا : "من بيريل إيتانج إلى لوهافر عبر وديان الرون (الدلتا الكبرى)، ونهر السون ونهر السين ، يمثل هذا الشريط منطقة ضيقة مفرطة التصنيع والتحضر مما يحيل بقية فرنسا القديمة العزيزة إلى عالم التخلف والإمكانات "السياحية"" (1991: 84). ولكن لوفيفر يشير إلى أن هذه المناطق هي في الوقت نفسه أماكن حيث يتم ترميز الأصالة التاريخية لتثقيف الزائرين ، وأيضًا أماكن حيث استولى الجيش على مساحات كبيرة لأغراضه . هذا التقسيم للمظاهر الطبيعية ليس فريدًا من نوعه في فرنسا . سواء كان الأمر يتعلق بالأراضي النائية في لابرادور حيث تعطل طائرات حلف شمال الأطلسي قطعان الكاريبو ، أو الوديان في المرتفعات في اسكتلندا حيث تمارس طائرات تورنادو التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني التحليق المنخفض فوق مسارات المشي لمسافات طويلة ، أو التدمير العسكري للصحراء الخالية من المفترض في "بلد مارلبورو" في الولايات المتحدة (ديفيس، 1993)، فإن مثل هذه المناطق الداخلية هي في الوقت نفسه "محميات" طبيعية ومناطق تدريب للتقنيات المتطورة للقوة الجيوسياسية المعاصرة التي تمارس في العواصم .

إن **الكواكب الجيدة يصعب العثور عليها** ، لقد برزت المخاوف بشأن القضايا البيئية بشكل خاص في ستينيات القرن العشرين في أعقاب نشر كتاب راشيل كارسون الذي انتقد تكنولوجيا المبيدات الحشرية ، والذي كان من نتائج البحث العسكري أيضًا ، في كتابه "الربيع الصامت "(1962.) وقد نبهت الكوارث التي وقعت في ناقلات النفط البارزة الجماهير إلى مخاطر نقل النفط . كما أطلق العالم على نفسه "مرض مينيماتا" نتيجة للتسمم بالزئبق في اليابان . وأصبح التلوث قضية حشدت الدوائر السياسية للمطالبة بالسيطرة على سلوك الشركات .

وفي ستينيات القرن العشرين أيضًا ، أدى الانبهار الواسع النطاق ببرنامج استكشاف القمر التابع لوكالة ناسا إلى منح البشرية صورًا فوتوغرافية قوية **للأرض ككيان واحد** . وقد شكل موضوع كوكب مهدد بالانقراض وفريد من نوعه التقرير الخلفي الذي تم إعداده لمؤتمر الأمم المتحدة لعام 1972 حول البيئة البشرية ، والذي حمل عنوان "أرض واحدة فقط" (وارد ودوبوس، 1972). ومن غير المستغرب أن يكون غلاف الطبعة الورقية لهذا المجلد عبارة عن صورة التقطتها وكالة ناسا لأرض زرقاء صغيرة في مواجهة سماء كبيرة مظلمة وخاوية .

وخلال سبعينيات القرن العشرين ، لعبت هذه الموضوعات الثقافية دورها في الجدل الدائر حول التأثير المحتمل للسفر الجوي الأسرع من الصوت المخطط له وأول مخاوف كبيرة بشأن استنفاد الأوزون والتي ركزت أيضًا على وقود الكلوروفلور وكربون في علب الهباء الجوي . وقد أعقب مقاطعة منظمة أوبك للنفط للدول التي تزود إسرائيل بالأسلحة أثناء حرب أكتوبر 1973 زيادات كبيرة في أسعار منتجات البترول . ولقد تم الربط بين هذا الموضوع والأمور الجيوسياسية أيضاً عندما تم التعبير عن القلق بشأن استنفاد الأوزون في حالة نشوب حرب نووية في سبعينيات القرن العشرين .

وقد امتد هذا الموضوع بشكل كبير في أوائل الثمانينيات عندما قدمت العواقب البيئية المحتملة لحرب نووية بين القوى العظمى دعماً إضافياً للحجج الداعية إلى نزع السلاح النووي وأدخلت أبحاث تغير المناخ مباشرة إلى السياسة العليا في مناقشة "الشتاء النووي" (توركو وآخرون، 1983). ونظراً لأن الغلاف الجوي الذي نتنفسه يختلف بشكل ملموس عن الغلاف الجوي الذي استنشقه أجدادنا ، فإن الانقسام بين الثقافة والطبيعة التي يُفهَم أنها شيء منفصل عن الثقافة ينهار. وكما تنتج التكنولوجيا بشكل متزايد الروبوتات والكائنات المعدلة وراثياً ، فإن الطبيعة تُبنى بشكل متزايد من خلال النشاط الثقافي . إن السياسة تدور الآن حول ما يسميه بيك (1992) "مجتمعات عدم اليقين والمخاطر المصطنعة" ، حيث تفلت المخاطر والتهديدات من قيود المساحات الوطنية واحتواء الفئات التقليدية لتقييم المخاطر . فما الذي يعد طبيعياً إذن في ظل هذه الظروف ؟

من الواضح أن سرعة التحول الحضري كانت أعظم في العقود القليلة الماضية في المدن الكبرى المترامية الأطراف في "الجنوب" ، ولكن الاتجاه العام كان نحو تزايد عدد السكان المتنامين في المناطق الحضرية . وعلى هذا النحو **تسارعت المطالب بالموارد من بعيد وزاد التأثير على البيئات البعيدة** (جادجيل وجوها، 1995). ومن الواضح أن الترابطات التي تشكل مفتاحاً لعمليات العولمة تتعلق بعمليات التحضر. ونظراً للروابط المتسارعة بين المراكز الحضرية الكبرى في الاقتصاد العالمي، أو ما يسمى بالمدن العالمية ، فقد يكون من المفيد الآن أن ننظر إلى الأمور من منظور مدينة عالمية واحدة (ماجنوسون، 1996).

ورغم أننا لا نعيش في نظام يضم الكوكب بأكمله كمشهد واحد متواصل ، فإن درجة الترابط بين الأسواق العالمية ، وانتشار بطاقات فيزا ذات الأسماء الذكية ، والترابط العالمي بين جداول رحلات الطيران ، تشير إلى وجود نظام واحد جنيني على الأقل . فهل يمكن **فهم العولمة على نحو أفضل كونها توسعاً حضرياً متسارعاً** ، مع تدفقات الموارد والاتصالات عبر الحدود التي تعكس ببساطة النمو في نطاق الاستيلاء الحضري على الموارد من مختلف المناطق الداخلية ؟ ومن ثم ، قد يُفهَم الانحدار الواضح في أهمية حدود الدولة كونه تحديثاً لملاحظة مودي (1949) التي أدلى بها قبل نصف قرن من الزمان والتي مفادها أن **الدولة** كيان سياسي لا يندرج ضمن تصنيفات المناطق الطبيعية . ومن الواضح **أن المناطق الداخلية للمدن تتداخل وتمتد في مختلف أنحاء العالم** . وإذا ما فهمنا الأمر كونه مدينة عالمية ، فإن الكوكب بأسره يصبح منطقة داخلية مترابطة . إننا نشهد اليوم منطقة داخلية مترابطة .

وبفضل فهمنا للعولمة كونها عملية من الترابطات المتسارعة ، ومع **الشعور بالمصير المشترك في محيط حيوي واحد** ، فإن إمكانيات كسر الثنائية القوية بين الطبيعة والثقافة تتحد مع الحاجة إلى التغلب على القيود التي تفرضها المناطق الحضرية والريفية في التفكير السياسي . وإذا ما فكرنا في هذا الأمر على أوسع نطاق جيوسياسي ، فإنه يعني أيضاً إعادة النظر في أنماط استخدام الموارد التي ترجع إلى الفترات الاستعمارية . وينعكس نمو الهيمنة الأوروبية على المشهد العالمي في الأنماط المستمرة لاستخراج الموارد من أماكن بعيدة تحت عنوان العولمة . وقد اتسع نطاق هذه الأنشطة في مجالات التعدين والزراعة وصيد الأسماك خلال القرن العشرين ، وأصبحت الأسواق العالمية المتكاملة تربط المناطق الحضرية بالريفية بسرعة أكبر كثيراً في المدينة العالمية (ريدكليفت، 1996).

## جغرافية السياسة البيئية

إن هذه الروابط مجتمعة بدأت الآن في تغيير المحيط الحيوي ككل . لقد أصبحت البشرية قوة رئيسية في تغيير الشكل الجيومورفولوجي والمناخ في النظام البيئي الكوكبي (ماكنيل، 2000). إننا نعيد صياغة بعض الأنظمة الكوكبية المهمة حرفيًا ، وهي العملية التي تثير قلق العديد من الأشخاص الذين يتطلعون إلى مستقبل البشرية وموائلنا . التحول الأرضي ، إن السيناريوهات المستقبلية هي سلعة تجارية في نوع الخيال

العلمي ، وهو النوع الذي يتم رفضه بسهولة مع بعض التعليقات المهينة إما حول سخافات "ستار تريك" وعبادة عشاق ستار تريك ، أو شفافية تلميحاته إلى الجغرافيا السياسية والنماذج السياسية للحرب الباردة .

إن زواج سلسلة أفلام حرب النجوم بين موضوعات الحرب الثورية الأميركية والإمبراطورية الرومانية يجسد أيضاً الموضوعات الجيوسياسية في تقليد باهت لتأملات إسحاق أسيموف (1951) السابقة في موضوعات الإمبريالية والابتكار التكنولوجي والتغيير الثقافي . ويظل موضوع الكوكب الوحيد المتحضر بالكامل خيالاً من خيالات الخيال العلمي ، وأحدث نسخة منه ، في حلقة "تهديد الشبح" من سلسلة حرب النجوم ، هي كوكب "كورسانت" ، والذي يمكن قراءته بسهولة كونه تحديثاً لصور فيلم فريتز لانج في عشرينيات القرن العشرين عن "المتروبوليس" ، فضلاً عن إشارة أخرى إلى الموضوعات الرومانية .

ولكن تجاهل الخيال العلمي باستخفاف يعني تجاهل نوع ثقافي مهم يستحق التدقيق الدقيق من قِبَل تخصص الجغرافيا . والأمر الأكثر أهمية هو تجاهل بعض المحاولات الأكثر إبداعاً للتفكير في النتائج المحتملة للصعوبات السياسية والتقنية الحالية . ومن الأهمية بمكان في هذه الحجة أن نشير إلى تزايد الاهتمام بالموضوعات البيئية ، وخاصة مسائل "**تحويل الأرض إلى أرض صالحة للعيش**" أو الهندسة الكوكبية حرفيًا اللازمة لجعل الأجرام السماوية الأخرى صالحة لسكن البشر . وقد ناقش كيم ستانلي روبنسون (1993؛ 1994؛ 1996) بالتفصيل ثلاثية المريخ ، وهي عبارة عن رواية خيالية لخطط "مشروع المريخ" للمستقبل (زوبرين، 1996) ، حيث إن تأثير استكشاف الفضاء على التفكير البيئي أمر لا مفر منه . ومن الجدير بالذكر أن صياغة جيمس لوفلوك المبتكرة (1979) لفرضية جايا كانت مدفوعة في البداية بالسؤال الحاسم الذي طرحته وكالة ناسا حول كيفية تحديد **ما إذا كانت هناك حياة على كواكب أخرى** ، المريخ على وجه الخصوص . كان آرثر سي كلارك أول من طرح فكرة استخدام أقمار الاتصالات المتزامنة مع الأرض قبل فترة طويلة من تعاونه مع ستانلي كوبريك في فيلم 2001 (كلارك، 1968). ولم تكن تبسيطات كارل ساجان لاستكشاف الكواكب منفصلة عن أعماله اللاحقة حول الشتاء النووي أو روايات الخيال العلمي التي كتبها (توركو وآخرون، 1983).

إن روايات الخيال العلمي كثيراً ما تكون مدفوعة بنوع من الصراعات التي اندلعت بعد نهاية العالم أو بمحاولات التعامل مع عواقب القرن العشرين . ويتعامل العديد منها بشكل خيالي مع سياسات السفر إلى الفضاء في سياق الصراعات على الأرض من أجل الموارد وسياسات كوكب ملوث ومقسم بشكل غير عادل (بارنز، 1994). ويتعامل البعض صراحة مع مسائل التغير البيئي والمناقشات التخمينية التي تتناول بعض الموضوعات في الأدبيات العلمية المعاصرة حول الأمن البيئي (سليمان، 1999). وهي تفعل ذلك بطرق توفر نافذة على القلق المعاصر بشأن المستقبل وكذلك طرقاً لتصور الأمور التي تتحدى التحليلات الأكاديمية التقليدية . إن بعض هذه الأعمال تتناول بشكل صريح إعادة تشكيل المظاهر الطبيعية في الضواحي باستخدام التقنيات الخضراء وإمكانيات الإنترنت (كلي، 1998). إن أفضل طريقة للتفكير في هذه الموضوعات هي التي تتجنب المخاوف المزدوجة التي تقلق ديفيد هارفي (2000) : يوتوبيا الإصلاح المكاني ، والهندسة البيئية التي تفترض أن اليوتوبيا هي ترتيب جغرافي ؛ ويوتوبيا العملية الاجتماعية ، التي تتجاهل الحقائق الجغرافية العملية للتجربة المعاشة .

وفي حين أن إغراءات الإصلاح التقني حاضرة دائمًا في هذا النوع ، فإن الأسئلة التي تستكشفها غالبًا هي أسئلة الذاتيات والإمكانيات الكامنة في الترتيبات التكنولوجية التي تغير بشكل أساسي الافتراضات حول العلاقات بين البشر والنظم البيئية . إن هذا الخيال العلمي يقدم أداة تربوية مفيدة محتملة لجغرافيي الثقافة ، فضلاً عن كونه أداة مفيدة للتفكير النقدي في الافتراضات الثقافية حول الطبيعة التي عدها الجغرافيون الحديثون

أمراً مسلماً به لفترة طويلة . وإذا كان من المقرر أن نتعامل بجدية مع التغيرات البيوفيزيائية الحالية على المستوى الكوكبي ، فإن الافتراضات المتعلقة بالاستهلاك غير المترتب على عواقب سوف تحتاج إلى التحدي الجذري . إن الخيال العلمي يقدم سبلاً للتفكير في مثل هذه الاحتمالات على وجه التحديد لأنه يسهل بشكل فعال نقد الفئات الوجودية للثقافة الحديثة ، وفي هذه العملية يثير أسئلة حول كيفية إعادة التفكير في جغرافية السياسة البيئية .

## السياسة البيئية

هناك بعض الأسباب للتفاؤل بشأن إمكانية التفكير الجديد مع تزايد ارتباط الاقتصاد البيئي والتخطيط بطرق مبتكرة بدأت في إحداث تأثيرات عملية على وجه التحديد لأنها بدأت في **طرح أسئلة حول العواقب البعيدة للأفعال المحلية** (كوربريدج، 1998). وتشير الروابط بين التدهور البيئي وحقوق الإنسان والسياقات الثقافية المعقدة للمقاومة لهذه الأشكال من التنمية إلى الاتجاهات المستقبلية لجغرافية الثقافة الحساسة لهذه الأمور (جونستون، 1994؛ واتس، 1998). ويذهب البرنامج الخيالي لمعهد فوبرتال "لإضفاء اللون الأخضر" على الشمال إلى أبعد من ذلك ليفكر صراحة في التأثيرات المترتبة على تغيير الاستهلاك "الشمالي" والتأثيرات المحتملة لمثل هذا "التخضير" على أنماط التنمية الجنوبية (ساكس وآخرون، 1998).

إن أحدى الموضوعات الرئيسية في هذا التفكير، وفي الأدبيات الأوسع نطاقاً حول مرحلة ما بعد التنمية والتي ترتبط بمثل هذا التفكير الأخضر (راهنيما وباوتري، 1997)، هي الاهتمام الجغرافي القديم بأهمية معطيات استخدامات الأراضي . وبشكل خاص ، يتسبب استخدام السيارات في الضواحي والمناطق الحضرية الطرفية في حدوث مشاكل تلوث مباشرة وأضرار غير مباشرة من خلال المساحات الشاسعة التي تتطلبها الطرق ومواقف السيارات . إن المعيشة بكثافة أعلى تقلل من كلا الأمرين ، وعندما تقترن بمحاولات توفير الإمدادات الغذائية من المزارع العضوية المحلية ، يمكن تقليل التأثير البيئي الإجمالي للحياة الحضرية بشكل كبير.

**إن الثقافة والفضاء والبيئة لا يمكن فصلهما** . وفيما يتصل بالاهتمام بـ"الآثار" أو "الحقائب البيئية" أو الفضاء البيئي خارج المناطق الحضرية اللازمة لدعم هذه الجغرافيات الاستهلاكية (ساكس وآخرون، 1998)، فإن الجغرافيا السياسية ترتبط ارتباطاً مباشراً بجغرافية "أسلوب الحياة". وقد تؤدي السياسة الثقافية الأوسع نطاقاً لهذه المسائل في كثير من الأحيان إلى التشاؤم أيضاً عندما نفكر في حجم التحريض على مثل هذه التغييرات الاجتماعية ، ولا سيما بسبب السرعة التي تحركت بها الشركات لاستحضار الموضوعات البيئية في الإعلان عن العديد من المنتجات المشكوك في ملاءمتها للبيئة .

ومرة أخرى ، تعمل التمثيلات التي تصور الطبيعة كونها تحدياً يتعين التغلب عليه من خلال الفطنة التقنية لسائقي المركبات الرياضية متعددة الاستخدامات على إعادة إنتاج الثنائيات بين الثقافة والطبيعة بطريقة تعزز فكرة الطبيعة كونها تحدياً يتعين التغلب عليه . إن إعلانات نيسان باثفايندر لعام 1999 في أميركا الشمالية ، والتي "تبدو فيها الطبيعة أكثر تحضراً في باثفايندر"، ترمز إلى تغليف البيئة في مبيعات المركبات الفاخرة الخطرة وغير الموفرة للوقود . ولكن هذه الصور هي عبارة عن هياكل ثقافية ويمكن الطعن فيها ، كما أظهرت احتجاجات الطرق في بريطانيا في التسعينيات (روتليدج، 1996). إن إعلانات نيسان بعيدة كل البعد عن تكهنات بيتر تايلور (1996) حول احتمالات التغيرات الثقافية اللازمة لهيمنة "خضراء عميقة" في المستقبل . إن اقتراحه بالحاجة إلى ثقافة "الزهد الواضح" كجزء ضروري من مستقبل أخضر يوضح المسافة التي يجب أن تتحركها الحياة في أميركا الشمالية على الأقل لتصبح مستدامة بأي شيء ذي معنى . ومع ذلك

فإن معالجة موضوعات مثل التمثيلات الإعلانية للطبيعة وكيفية استخدامها في بناء الهوية تنطوي على إمكانات تربوية كبيرة للجغرافيا النقدية (ماكهافي، 1997).

ما يقدمه هذا التكامل بين الموضوعات هو وسيلة لربط الثقافة والبيئة ، وتمثيلات الطبيعة والتكنولوجيا وسياسات الذاتية بطرق تتفاعل أيضًا مع السياسات العملية لكيفية عدم إمكانية تجنب التمثيل والمعرفة والقوة في الدراسات الجغرافية . إن دفع مثل هذه الطرق في التفكير في جغرافية الثقافة إلى أبعد قليلاً يشير أيضًا إلى أن مسائل النطاق المكاني لا يمكن تجنبها ، وأن القضايا ذات النطاق الكبير غالبًا ما لا يتم التعامل معها بشكل أفضل من قبل المنظمات ذات النطاق الكبير . من المرجح أن تأتي التغييرات الأكثر ابتكارًا في ثقافة السيارات الأمريكية كمسألة سياسة حضرية . يبدو أن لوس أنجلوس قد وصلت أخيرًا إلى حد التسامح مع عدم جدوى السيارات الحضرية . إن المحاولات الرامية إلى الاستجابة لهذه المشكلة من خلال فرض حدود للانبعاثات على المركبات من المرجح أن يكون لها تأثيرات على التخطيط الحضري وتقنيات السيارات تتجاوز جنوب كاليفورنيا . كما كانت المدن الأوروبية تجرب أجهزة عديدة للحد من تأثير السيارات تمامًا كما تبنت النخب في مدن الجنوب هذه التكنولوجيا كرمز لنجاحها الاجتماعي (باترسون، 2000).

ولكن في حين أن الشعور بالضعف المشترك الذي يرمز إليه رمز الرخام الأزرق الدوار له صدى سياسي كبير ، فإن افتراض أن الضعف مشترك غالبًا ما يحجب التناقضات القوية في من هو في خطر حاليًا وكيف يمكن إعادة ترتيب الأمور لتقليل المخاطر إلى الأكثر ضعفًا (أثاناسيو، 1996). وهذا **يثير تساؤلات عميقة حول العدالة على كوكب به استيلاء غير مستدام على الموارد الطبيعية** (هارفي، 1996). كما أنه يجبر العلماء على التفكير مليًا في الفئات والتعريفات التي يستخدمونها ومسائل المقاييس المناسبة للنظر في السياسة والعدالة.

## الثقافة والطبيعة والجيوسياسات

إن إعادة التفكير في الحجم وحده لا يكفي دون إدراك المخاطر المستمرة المترتبة على التفكير بطريقة يسميها مايكل كاري (1992)، وفقًا لمصطلحات كانط ، "العمارة" . إن الدافع إلى المطالبات العالمية بالمعرفة الصحيحة يكون دائمًا في خطر الارتباط **بالطموحات الاستبدادية لإدارة العالم** (جيل، 1995). ومن الواضح أن أجندة الشركات في اجتماعات مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية في ريو في عام 1992 كانت تدور جزئيًا حول ربط المخاوف بالخطر العالمي على الإدارة من قبل الأغنياء والأقوياء (تشاترجي وفينجر، 1994). إن الإغراء بمسح البيئات والسيطرة عليها من بعيد يشكل إغراءً استعمارياً سواء بالنسبة للمدافعين عن البيئة الذين يدافعون عن سياسات معززة لإدارة الموارد (لوك، 1997)، أو بالنسبة لخبراء التكنولوجيا العسكرية الذين يريدون استخدام الاستشعار عن بعد وتكنولوجيا الأقمار الصناعية "لمراقبة" التغير البيئي (ديبرت، 1999). وارتباطاً بالسجون المالية (أو تواثيل، 1997)، فإن مشروع السيطرة العالمية من جانب النظام الاستعماري الحضري الذي تسبب في الكثير من الضرر في المقام الأول يتحرك بضع خطوات إلى الأمام .

ومع ذلك ، هناك أيضاً نشاطا فكريا كبيرا يشير إلى اتجاه التفكير الإبداعي بشأن الأسئلة الكبرى في الجغرافيا . فقد بدأت أدبيات علم السياسة البيئية في الارتباط بالأدبيات النقدية في الدراسات الثقافية والمناقشات حول البناء الاجتماعي للعلم بطرق منتجة للغاية (براون وكاستر، 1998). ولقد اقترح ماكهافي (1997) أهمية فهم سياسات التمثيل حول موضوعات الإعلان والمواصفات المؤسسية للعولمة . ويرى هارفي (1996) **أن مسألة العدالة تشكل جزءاً لا يتجزأ من التفكير البيئي** ، وهو أمر لا مفر منه ، ولكنه لا يدرج المقياس الجيوسياسي صراحة في تفكيره . ذلك أن المعرفة البيئية المحلية تتحدى افتراضات الاختصاص والسيطرة

من الطرف الآخر للمقياس الجغرافي (دوبلداي، 1993). وما يزال هناك الكثير مما ينبغي عمله في إضفاء طابع إشكالي على مسائل الملكية والسيادة ، ولنذكر فقط الفئات المكانية الأكثر وضوحاً والتي هي موضع تساؤل على المستوى الكلي للعولمة ، وعلى المستوى الجزئي للكائنات المعدلة وراثياً والمناقشات حول براءات الاختراع للجينات (ميلر، 2001).

لقد أصبح ما يعنيه المجتمع المحلي في السوق العالمية أكثر إثارة للشكوك على نحو متزايد على الرغم من استحضاره من قِبَل الساسة والناشطين من كافة الأطياف السياسية . إن ربط هذه النقطة بمناقشة إنتاج الطبيعة واختلاق عدم اليقين يعيدنا إلى موضوع جلاكن (1967) حول **الأرض كونها الموطن الإلهي للإنسانية** . ومن الواضح أن توسع نطاق النشاط الاقتصادي خلال القرن العشرين قد غير شروط هذه المناقشة . فالإنسانية ، أو ربما على وجه التحديد ذلك الجزء من البشرية الذي يتخذ معظم القرارات السياسية والاقتصادية المترتبة على ذلك ، تعمل الآن على إعادة تصميم الكوكب فعليًا . ولابد من استبدال خطابات الآلهة المعمارية بخطابات الموائل الاصطناعية . والآثار المترتبة على مثل هذا التحول عميقة ، ولكنها تنبع من النطاق المعاصر للنشاط البشري والاعتراف بموضوع الكوكب الوحيد المنعزل . والآن أصبحت **الثقافة والطبيعة** من الأمور التي لا مفر منها في الجغرافيا السياسية.

إن ما يتبين بوضوح من هذه المحاولة للتفكير في الجغرافيا السياسية على أوسع نطاق هو المفارقة المتمثلة في الوضع الحالي حيث أصبحت الافتراضات الحضرية حول كل من الثقافة والطبيعة غير مناسبة كدليل على ما أسمته باربرا وارد ورينيه دوبوس (1972) "رعاية وصيانة كوكب صغير". **إن التحول الثقافي المطلوب نحو الاعتراف بالغلاف الحيوي ككيان يجب أن نعيش فيه ، وليس ككوكب يجب أن نعيش عليه ، يتحدى الحدود في التخصص الجغرافي بقدر ما يتحدى المخططات الوجودية الأكبر للسياسة الحديثة** (دالبي، 2002).

يشير هذا الخط من الحجج إلى أن الأسئلة الحاسمة لهذا التخصص تواجه هنا على أوسع نطاق ، وهو نطاق الكوكب ككل . إن تقاليد التخصص التي تركز على الأرض كموطن للإنسانية تحتاج إلى إعادة التفكير نتيجة لإعادة التركيز الوجودي . إن الأسئلة المتعلقة بالجوانب العملية للحياة على كوكب محدود ولكنه متغير وإمكانية العيش المتناغم أو المستدام تندرج ضمن نطاق الاهتمامات التخصصية التقليدية . ولكن افتراضات التحديث كونها الإجابة عن هذه الأسئلة فقدت منذ فترة طويلة صلتها بالمسائل الملحة المتعلقة بما ينبغي أن تكون عليه الأسئلة الجغرافية الكبرى على كوكب مهدد بالانقراض .

لقد كانت النظرة الجيوسياسية دائمًا حديثة ، وهي عبارة عن دافع معماري لرؤية الكل من مسافة بعيدة بهدف إدارته لأغراض مختلفة ، وهو ما شكل بناء المعرفة العملية في العديد من التخصصات (أجنو، 1998). إن عواقب المحاولات الحديثة لإدارة عالم معقد غير منضبط من خلال تبسيطه وقهره وتحويله إلى مشهد منظم هي على وجه التحديد الدوافع التي غالبًا ما تؤدي إلى تفاقم الصعوبات الحالية (سكوت، 1998). إن الانتقادات الأخيرة للاستعمار تقدم تحذيراً كافياً ضد استيلاء النخب السياسية في العالم على سرديات الأزمة لتبرير استراتيجيات سياسية مختلفة لإعادة ترتيب المشهد من خلال الثقافات الحضرية (شيفا، 1994).

وعلى النقيض من ذلك ، فإن التفكير البيئي ، إلى جانب الحساسيات تجاه العدالة وأهمية الاتصال والسياق ، يقدمان بعض الأدوات الفكرية المفيدة للانخراط في الحركات الاجتماعية الأكثر ابتكاراً في الوقت الحالي . إن **تحويل التركيز من التنمية إلى الاستدامة** قد يؤدي أيضاً إلى التخلص من بعض الآثار المتبقية من الهياكل التصنيفية المستمدة من الخطابات الاستعمارية في الماضي، على الرغم من أن الأسئلة السياسية حول من وما الذي يجب دعمه تظل ذات أهمية قصوى .

إن الجغرافيا الواعية ذاتياً تتمتع بميزة تأثير النظرية النقدية الحديثة وما بعد الحداثة وحساسيتها تجاه كيفية لعب مثل هذه الخطابات في سياقات معينة . لا شك أن المخاطر العالمية قد تكون قائمة ، ولكن تأثيرات المخاطر المحددة تتفاوت على نطاق واسع . وقد يكون من المفيد ربط النقد الوجودي من النوع الذي يقدمه هذا الفصل بالتفكير الإبداعي للناشطين البيئيين والتنمويين لجعل الاستقصاء الجغرافي أكثر حساسية للمقدمات الثقافية للمحيط الحيوي الحي . ولكن من الواضح بلا أدنى شك ، أن لا الغرور المعماري الحضري ، ولا الاحتفاء بالهويات الحضرية والافتراضية الحديثة ، مع إخفاء العواقب البيئية لإنتاجها ، يشكلان أسلوبين مناسبين لجغرافية الثقافة النقدية في الألفية الجديدة .